

الفصل العاشر
المسيح العائد...
مَنْ وَمَنْ؟!

المسيح العائد... مَنْ وَلِمَنْ؟!

لم يخلق الله (تعالى) بشراً اختلفت فيه الأمم وتباينت فيه المعتقدات مثل المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام -، وبقدر ما حصل الاختلاف في الناس بشأنه، بين غالين فيه، وجافين عنه، ومتوسطين بين ذلك؛ بقدر ما كانت شخصيته موضوعاً مشتركاً لكثير من قضايا الحجاج واللجاج بين أهل الأديان، ومعبراً يوصل لفتح أحاديث في الإلهيات والنبؤات والوحي والمعجزات عند كل أصحاب الملل والنحل، وتتعاظم في أيامنا هذه أهمية البحث والحديث في شأن عيسى - عليه السلام - أكثر من أي عصر مضى للأسباب التالية:

أولاً: النصرانيّ المعظمين له والمغالين فيه - على اختلاف طوائفهم - يتوقعون عودته في هذه الحقبة التي نعيشها، وهم يترقبون بل يتقربون بتقريب هذه العودة المنتظرة بكل تشوق وتشوف وتلهف وتحسب، ولا شك أن تلك المشاعر ستزداد مع الأيام والشهور والسنوات القليلة القادمة، أي في بدايات الألفية الثالثة لميلاده - عليه السلام -، والتي يعتقد أكثرهم أنها ستكون ألفية مجيئه ثانية إلى الأرض.

ثانياً: اليهود الذين كفروا بعيسى وأذوه وعادوه، ولا يزالون يكفرون به؛ سيجدون أنفسهم في مواجهة قضية مسيح منافس لمسيحهم المنتظر الموعود، والذي يترقبون قدومه أيضاً في وقت قريب، مما سيضعهم في بؤرة الاهتمام بشأنه مرغمين عندما يتزايد الجدل حول قرب عودته إلى القدس التي يعتقدون أنهم (حرروها) وجهازوها لمقدم مسيحهم اليهودي المنتظر، مما قد يدفع بطوائف منهم، ويدفع المنطقة معهم إلى أوضاع تختلط فيها الأوراق وتقلب الطاولات

استباقاً للأحداث .

ثالثاً: المسلمون أيضاً - وهم يعتقدون أن عيسى - عليه السلام - سيعود إلى الأرض وسينزل من السماء وسيحكم بالإسلام^(١) - سيزدادون اهتماماً بشأنه ، مع تزايد الحديث حوله ، ولكن مع قلة العلم وضعف اليقين وشيوع الجهالة - خاصة عند المسلمين غير العرب - فالخطر يتعاظم من الفتنة التي يمكن أن يحدثها أهل الكتاب عندما يبدأون ملحمة إعلامية ، تضخ الدعايات المضللة عن المسيح ورسالة المسيح ومعجزات المسيح في أكبر حملة (تبشير) عالمية عبر آلة الإعلام الدولية التي يملكون توجيه الفتن مع دفتها .

ولهذا أقول : لم يكن المسلمون في عصر من العصور أحوج لتصحيح المعتقد في أمور الألوهية والرسالة والنبوة مما يتعلق بعيسى - عليه السلام - من هذا العصر الذي نعيشه ، لأن هذه القضايا ستفاعل قريباً ، وستحتاج إلى الفهم السديد دون تحريف الغالين أو انتحال المبطلين ، فالكلام حول شخص عيسى - عليه السلام - والحديث المفترى عن ألوهيته أو بنوته ، سيتكثف مع الحديث عن بشريته ونبوته ، وذلك كلما ضاعف النصارى من حملتهم للفت الأنظار إلى قرب عودته .

إن حمى سنة ٢٠٠٠م التي سبق الحديث عن أعراضها المختلفة ستشتد وتحدد لدى نصارى العالم ، إذا بدأ الشيطان في استدراج المسوسين بها ، بما يمكن أن يصوره لهم على أنه علامات أو أمارات على بدء العد العكسي لمجيئه الثاني .

وعند ذلك ، علينا ألا نستبعد مزيداً من الهوس الألفي المدفوع بحماسات وحماقات لا تقل عن مثيلاتها التي كانت مصاحبة للحمى الألفية الأولى التي صاحبت الحملات الصليبية على بلاد الشام ، وعندها فلا ينبغي أن نلغى احتمال

(١) كما تواترت بذلك الأحاديث .

أن تتحول الحمى الألفية الجديدة إلى هلوسة (أورشليمية) أو غطرسة (هرمجدونية) أو مراهقات (حاسوية) أو هرطقات (بيت لحمية) أو شمشونيات (نووية أو كيماوية أو بيولوجية)!

ماذا أعد المسلمون لكل هذا؟!

لا أظن أنهم أعدوا شيئاً سوى الانتظار!

النصارى ومسيحهم المنتظر:

إذا كان عهد اليهود بانتظار مسيحهم قد طال بطول زمن التوراة، فإن انتظار النصارى لمسيحهم ظل مستمراً منذ زمن الإنجيل.

يقول ديورانت في كتابه المشهور (قصة الحضارة): «كان ثمة عقيدة مشتركة وحدت الجماعات المسيحية المنتشرة في أنحاء العالم، هي أن المسيح ابن الله، وأنه سيعود لإقامة مملكته على الأرض وأن كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة»^(١).

والجماعات النصرانية التي وحدت بينها تلك العقيدة - كما قال ديورانت - لم تكتف بالاعتقاد، بل لم تقف عند حد الانتظار، وإنما تفاعلت مع ذلك المعتقد محاولة تحقيق علاماته واستدعاء مقدماته. فالطوائف الرئيسية من أصحاب تلك الديانة وهم الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت؛ جميعهم يؤمنون بعودة المسيح ثانية، ويستعدون منذ قرن كامل لمجيئه على رأس الألفية التي نحن مقدمون عليها، بعد أن خابت آمالهم في مجيئه على رأس الألفية الأولى.

ولكن البروتستانت على وجه الخصوص أصبحوا أصحاب الاهتمام الأكبر

(١) قصة الحضارة تأليف ول ديورانت، ج ٣، ص ٢٩٠.

بعقيدة الانتظار الألفية من الناحية العملية، فعندما أنشأ (مارتن لوثر) المذهب البروتستانتي دفعته ميوله اليهودية إلى اعتبار التوراة هي الأساس الوحيد لقبول الإيمان، وبما أن التوراة قد احتوت نبوءات عن مسيح يخرج في آخر الزمان، فقد ركب أتباعه تلك النبؤات على شخص عيسى - عليه السلام -، خاصة وأن مصادر أهل الكتاب تنسب عيسى - عليه السلام - إلى داود - عليه السلام - من جهة أمه مريم - عليه السلام - ومن هنا انتقل معتقد المسيح عند اليهود واختلط بمعتقد النصارى البروتستانت في عيسى - عليه السلام -، ولما كانت التوراة تنص على أن مسيحاً سيجيئ قبيل الألفية الأخيرة، وأنه سيحكم من القدس، وأنه سيعيد العبادة إلى الهيكل بعد بنائه، فقد تبنى البروتستانت كل هذه العقائد، وزاد من تثبيتها عندهم أن الأناجيل التي معهم وردت فيها نصوص صريحة عن عودة عيسى - عليه السلام -، ولم يكن ممكناً للنصارى أن يسلموا لليهود بأن نبؤات التوراة عن مسيح سيأتي في آخر الزمان هي عن مسيح آخر غير ابن مريم.

لقد توأما الكتابان (التوراة والإنجيل) معاً ليكونا عند النصارى - خاصة البروتستانت - عقيدة لا تتزحزح عن عودة المسيح ابن مريم إلى الأرض في آخر الزمان، وعلى رأس ألفية. وزاد النصارى على ذلك في معتقدتهم أن اليهود الذين سيكونون قد تجمعوا في القدس قبل عودة عيسى - عليه السلام - سيتنصرون هناك عند عودته، تقول الكاتبة الأمريكية (لي أوبرين) «إن المذاهب اللاهوتية لكثرة من البروتستانت تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية، وهي تذهب أيضاً إلى أن تجمع اليهود، هو مجرد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح»^(١).

(١) المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل، تأليف لي أوبرين، ص ٢٨٦.

وعندما انعقد المجمع العالمي للكنائس النصرانية في (إفناستون) عام ١٩٥٤م، قدمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريراً جاء فيه «إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتاب العهد القديم؛ بل فيما نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك» وأصدر الأساقفة المجتمعون في ذلك المؤتمر البيان التالي: «إننا نؤمن أن الله اختار إسرائيل - الشعب المختار - لكي يتابع خلاص للبشرية، ومهما كان موقفنا، فلا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت على الشجرة القديمة (إسرائيل) ولذلك فإن شعب العهد الجديد لا يمكن أن ينفصل عن شعب العهد القديم. . إن انتظارنا لمجيء المسيح الثاني يعني أملنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية، وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار»^(١).

ماذا تخفي هذه المحبة؟!

يعجب الإنسان عندما يكتشف أن تلك المشاعر الدينية الحميمة من النصارى تجاه اليهود، هي مشاعر مزيفة، أو مصلحة - على أقل تقدير -، فيبدو أن نصارى الغرب قد درجوا على تقديم المصلحة في كل شيء حتى في الدين، فاليهود عندهم، هم القنطرة التي سيعبرون فوقها نحو أمجاد الأيام الأخيرة، فلن يأتي المسيح ولن يقيم مملكة الرب (النصرانية) إلا بعد أن يُعاد اليهود إلى فلسطين ويسكنوا القدس وبنوا الهيكل. ثم ماذا. . ثم يخرج مسيحيهم المنتظر (أي مسيح اليهود) ليعيث في الأرض فساداً ويملاًها كفرًا وإجراماً، ثم يأتي عيسى - عليه السلام - ليذبحه ويقتل ثلثي اليهود ويبقى ثلث يتوجب تنصيرهم!!

(١) مجلة الأمل، العدد ١٠٤، ١٩٨٢م.

فهل يؤمن النصارى بمسيح آخر سيأتي في وقت مجيء المسيح ابن مريم؟!
نعم، إنهم يؤمنون بذلك . . ويطلقون على ذلك المسيح (Anti - christ) أي
ضد المسيح، أو (المسيح الدجال)!!

النصارى والمسيح الدجال:

يعتقد النصارى - خاصة البروتستانت - أن هناك عدواً كافراً طاغياً قاسياً
سيخرج قبيل عودة عيسى - عليه السلام -، وأنه سوف يكون من اليهود، فأمه
أمرأة يهودية وستلتهم جيوشه العالم بعد أن يخرج من شمال إسرائيل، أو
بالتحديد من سوريا من قبيلة (دان)، ويؤمنون أيضاً أنه سيبدأ بدعوى الصلاح
ويبتحل شخصية المسيح المخلص، ثم لا يلبث أن يتحول إلى دعوى الربوبية التي
سيتبعه عليها أكثر الناس نظراً للخوارق التي ستجرى على يديه، والتي سيقلد بها
أفعال الإله في الإحياء والإماتة وإنزال المطر وإنبات الزرع . . إلخ، ويؤمنون
أيضاً، بأنه سيعتلي منبر الهيكل بعد إعادة بنائه، وسيهدم مقر البابوية في روما،
وسيضطهد (المؤمنين) ويضيق عليهم حتى يبلغ البؤس مداه، وعند ذلك يتدخل
الإله، وينزل المسيح ابن مريم لينقذ بقايا المؤمنين بعد أن يقتل المسيح الدجال،
ويقاتل أتباعه من اليهود وقوم (يأجوج ومأجوج) ويتفرغ بعد ذلك لإقامة مملكة
الرب التي سيسودها السلام.

إن هذه العقائد التي لا يزال يحتفظ بها النصارى عن المسيح الدجال، هي من
بقايا ما أخبر به الأنبياء تحذيراً منه، فقد أخبر الرسول ﷺ أن جميع الأنبياء حذروا
منه أمهم، إنه لم تكن فتنة منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وأنا آخر
الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٥٩/٢ - ١٣٦٣) وأبو داود (١١٧/٤) والحاكم (٥٣٦/٤) وقال على
شرط مسلم وأقره الذهبي .

وقد أخبر الرسول ﷺ أيضاً أن الدجال يهودي وأمه يهودية، ويخرج من قرية يقال لها اليهودية، وأخبر أن أكثر أتباعه من اليهود، وأخبر أنه سيغزو كل الأرض عدا مكة والمدينة والقدس ومنطقة الطور، وأخبر أن الخوارق ستجري على يديه مما يزيد من فتنة الناس به ويضاعفها حتى تكون فتنته أعظم فتنة في تاريخ البشر منذ خلق الله آدم - عليه السلام - (١).

والمقصود هنا، أن النصارى يؤمنون بخروج الدجال ويهوديته واتباع اليهود له وبأنه سيسود العالم كله، ولكنهم مع ذلك يؤمنون بأن عيسى - عليه السلام - سينزل في غمرة فتنة الدجال ليخلص العالم منه ومن اليهود أيضاً!

إذن، ففرح النصارى باليهود ورعايتهم لهم في عصرنا، هو أشبه بفرح علماء المختبرات بالعثور على الفئران أو الضفادع أو الحيات النادرة التي لا يمكن إنجاح التجارب إلا بها، وهذه المخلوقات على وضاعتها وحقارتها، وخطورتها أيضاً. . . تلقى كل الرعاية والحرص، لا حباً فيها ولكن، لأن الاختبارات لن تُجتاز إلا بها! فالمسيح لن يأتي إلا بعد خروج الدجال، والدجال لن يأتي إلا بعد عودة اليهود إلى القدس وهدمهم للأقصى وبنائهم للمهيكل وذبحهم للبقره. . الخ.

فاليهود على هذا شر لا بد منه، والدجال قدر لا بد من مواجهته، وهذا الدجال الذي تؤمن النصارى بحتمية خروجه، قد وردت بشأنه الأخبار في مصادرهم، ففي الإنجيل، في رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي هذا النص: «لا يخدعنكم أحد بوجه من الوجوه، لأنه لا بد أن يسبق الارتداد أولاً، ويظهر إنسان الخطيئة ابن الهلاك» (٢) والنص هنا يذكر الارتداد، فلا بد إذن أن تكون ردة، ولكن ردة مَنْ؟ وعن ماذا؟!

(١) راجع في ذلك صحيح مسلم، باب أحاديث الدجال (١٨ / ٨٥ - ٨٩) شرح النووي.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي (الإصحاح الثاني / ٣).

إن النصارى أنفسهم يتقاذفون اليوم التهم بهذه الردة التي يقول الإنجيل إنها لا بد أن تسبق أولاً، ولهذا فهم يتبادلون التكفير بين طوائفهم بحيث أن كل طائفة تتهم الأخرى بأنها ستكون من أنصار الـ (إنتي كريست) أو الدجال عدو المسيح، فالنصارى الشرقيون العرب مثلاً - وأكثرهم من الأرثوذكس - يعتقدون أن طوائف الكاثوليك الغربيين هم نصارى بالاسم فقط، وأنهم سيكونون مع الدجال ومع أعداء المسيح! يقول القس ناشد حنا في تفسيره لسفر دانيال «مما لا شك فيه أن المسيحية المرتدة سيعاد توحيدها، ولكن هذا الاتحاد سيكون خالياً من تعاليم المسيح، ستتحد جميع الأنظمة المرتدة، وستستعيد الكنيسة البابوية نفوذها وسلطانها، وستشكل جميع كنائسها هيئة عظيمة واحدة تضم جميع أجزاء النصرانية . . هذه الكنائس ستكون مستمدة قوتها من البابوية وستكون خادمة للوحش» (أي المسيح الدجال) (١).

ويقول هذا القس في تفسير سفر الرؤيا: «يستطيع ذو البصيرة أن يرى بوضوح بوادر الانتكاس من اليوم (يعني في الانحياز للدجال وتكوين المعسكر ذي الرؤوس العشرة) وإنه من الغرابة بـمكان أن تكون نهاية المدنية والاستنارة الذهنية في المسيحية المرتدة هي عبادة الإنسان للشيطان» (٢).

ويقول الأب (سركيس) في كتابه (العلاقة بين اليهودية والمسيحية) «ليس هناك فرق بين إسرائيل وبين المسيحية بالاسم، ففي يوم قادم، وهو قريب جداً، سيتعامل الرب بقضائه المخيف مع المسيحيين بالاسم» (٣).

(١) تفسير سفر دانيال، لناشد حنا، ص ٦١.

(٢) تفسير سفر الرؤيا، لناشد حنا، ص ٣٠٧، ٣٧٣.

(٣) العلاقة بين اليهودية والمسيحية، تأليف سلوم سركيس.

ويقول (ايرنسايد) في تفسير سفر دانيال: «إن عشر قوى أوروبية ستتحذ في تحالف واحد، وسيصبح هؤلاء العشرة بمثابة حاكم واحد لأوروبا، وهذا الحاكم هو (الوحش)^(١). ويقول القس صايغ في كتاب (مشتهى الأمم) «الكنيسة المرتدة ستعطى الوحش (الدجال) الصلاحية التامة ليمثلها ويمثل اليهود، وسيرتبط الجميع بمعاهدة لحماية الدولة اليهودية» ويقول: «المسيح الدجال سيكون دكتاتوراً عالمياً، وسيكون هو الرئيس العالمي لليهود والمسيحيين المرتدين»^(٢).

والغريب أن البروتستانت ينظرون أيضاً إلى كاثوليك أوروبا هذه النظرة، فهم يؤمنون أن (الوحش) الذي ورد ذكره في سفر الرؤيا، يعني أنه سيكون هناك اتحاد قوي من عشر دول أوروبية سوف تنهض في الأيام الأخيرة، وأن قيام المجموعة الأوروبية المكونة من عشر دول هو تحقيق لهذه النبوءة ودليل على أننا نعيش فعلاً الأيام الأخيرة، لأن هذه القوى الأوروبية ستكون معادية للمسيح لأنها ستكون مرتدة عن المسيحية التي بشر بها!!^(٣).

ومع اتهام طوائف النصارى بعضهم لبعض بأنهم أتباع الدجال عندما يخرج؛ فإنهم يجمعون على أن اليهود هم طليعة أنصاره، ورأس حربته، وهم الذين سيقودون معسكر أعداء المسيح، ولهذا فهم يعتقدون أن الله سينتقم منهم في القدس وسيخربها^(٤) ثم يخلصها منهم ويورثها للمسيح وأتباعه! يقول القس (رشاد فكري) في تفسير سفر حزقيال: «مرة أخرى ستذوق أورشليم غضب الله وقضاءه في نهاية الدهر، والمسيحية في الغرب قد أنهارت حتى إن الذين كان

(١) تفسير سفر دانيال (ايرنسايد)، ص ١٣١.

(٢) مشتهى الأمم للقس صايغ، ص ٥٧.

(٣) انظر النبوءة والسياسة، ص ٤٣.

(٤) هم يعتقدون ذلك بمقتضى سفر حزقيال الإصحاح، ١٦/١٢.

أجدادهم في القرون الماضية يشنون الحروب الصليبية بذريعة حماية القدس؛ باعوا فلسطين لليهود في القرن العشرين»^(١).

ويقول متى هنري في تفسيره للإنجيل «يجب أن نعلم أن الخراب سيتتابع على اليهود أينما كانوا، كما يتعقب النسر الفريسة»^(٢).

ويقول (ايرنسايد) في تفسير دانيال: «إننا نرى الآن أن اليهود قد تجمعوا في فلسطين، وجاءوا من أوروبا الشرقية والغربية إلى أرض آبائهم، فيالهذا الشعب التعيس المخدوع، فهم يتصورون أنهم وجدوا ملجأ في آخر الأمر يكونون فيه بأمن من الاضطهاد وبمناى من الخطر... لا! إنهم يهيئون أنفسهم على غير علم منهم لمعصرة غضب الرب»^(٣).

ويقول: «سينصب المسيح الدجال نفسه الإله الوحيد الجدير بالعبادة وله سيدي المسيحيون المرتدون ولاء مطلقاً، وسينتحل لنفسه أمام اليهود صفة مسيحهم الموعود به منذ عهد بعيد على ألسنة الأنبياء، ويقبل اليهود ادعاءاته ويقولون: هذا هو حقاً المسيح الذي طالما انتظرناه، وهذا هو الذي يتكلم كتابنا المقدس عنه»^(٤).

إن المرء ليعجب أن يكون هذا حديث نصارى عن نصارى، أو حديث نصارى عن يهود، ولكن العجب يزول عندما نتذكر قول الله - تعالى -: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤]، وقال

(١) تفسير سفر حزقيال لـ (رشاد فكري)، ص ٥٩.

(٢) تفسير إنجيل متى، (متى هنري)، ص.

(٣) يعني يوم الهرمجدون، تفسير دانيال، ص ١٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

- تعالى -: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة: ١١٣].

فالجميع أعداء الجميع ، والجميع يريد أن ينتقم من الجميع ، والجميع مع هذا كله ينتظرون ، ويتحسبون ويرتبون . . ولكن يبقى أن النصارى البروتستانت القاطنون القارة الأمريكية الشمالية ، هم أشد النصارى تأثراً بالحمى الألفية وأعراضها المتعددة ، والتيار الأصولي فيها يطالب بقوة بمزيد من الاقتحام في هذا الزمن استغلالاً للأحادية القطبية ، ويعتبرون هذا الزمان الأحادي هو الفرصة السانحة ، وربما الأخيرة لنشر (المسيحية) بمفهومهم هم على ربوع العالم أجمع ، ومن يمتنع . . فالويل له أو (الهرمجدون) له . إنه سينسب للشر أو للشرق ، ثم تسلط عليه نيران (الخلاص) الحارقة يقول هال ليندسي - أكثر مؤلفي الأصولية الإنجيلية شعبية في كتابه الجديد^(١) (العالم الجديد القادم) : «إن قوى الشر القادمة من الشرق ، سوف تزيل ثلثي سكان الأرض ، وعندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى وتحين اللحظة العظيمة ، فسينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل»^(٢).

إن من حقنا أن نعجب ، ومن حقنا أن نتساءل إذا كانت كل طائفة تدعي أن المخلص منها وأنهم أتباعه وأنصاره ، وتدعي في مبغضيتها أنهم أتباع الدجال وأنصاره ، فمن إذن هم الأتباع الحقيقيون للدجال الذي يتبرأ منه الجميع الآن ، فإذا جاء كانوا أول المسارعين لنصرته والإيمان به؟!

(١) كان قد ألف قبله كتاب (الكرة الأرضية - ذلك الكوكب العظيم الراحل) وبيعت منه مليون نسخة .

(٢) نقلاً عن مقدمة النبوءة والسياسة .

لمن سيخرج الدجال:

نحن لا نشك أن اليهود بمجموعهم سيكونون طليعة أنصار الدجال فهو منهم وإيهم ، وخاصة يهود الشرق الذين سيخرج فيهم^(١) .

أما النصارى ، فعلى الرغم من أنهم يزعمون أنهم سيكونون في جيوش المسيح الحق ضد المسيح الدجال ، فالله يعلم أنهم - بجمع طوائفهم - هم الذين هياؤا أنفسهم بأنفسهم لكي يكونوا أول المصدقين بدعي من البشر يدعي الألوهية ، أليسوا هم الذين اعتنقوا عقيدة (المسيح الإله القادر على كل شيء)؟! والمسيح الدجال سيقول أنا المسيح الإله القادر على كل شيء!

فما الذي سيكون مستغرباً في دعوة الدجال على مسامع النصارى الذين لا يستهجنون ولا يستبعدون أن يتجسد الإله في صورة إنسان! خاصة وأنه لن يمنعهم - ومعهم اليهود - من مشاركته في فرض السيطرة النهائية على العالم باعتبارهم أتباعه .

إننا نؤمن - كما أخبر الرسول ﷺ - أنه سيبلغ سلطانه كل منهل وسيدخل كل أرض ، باستثناء مكة والمدينة والقدس وأرض الطور^(٢) . أي ستكون له (حكومة عالمية)؛ وكلاً من اليهود والنصارى يؤمنون بأن منتظرهم سيقوم مملكة عالمية ، فإذا رأى اليهود منه ذلك - وهو يهودي مثلهم - وإذا رأى النصارى منه ذلك ، وهو يقول لهم إنه المسيح المخلص والإله القدير ، فما الذي سيمنعهم من الإيمان به .

(١) من الغريب أن يهود إيران لم يهاجروا للآن إلى (إسرائيل) ، فهل يعتبرون أنفسهم رصيماً مدخراً ليوم المجيء؟ .

(٢) كما دل ذلك الحديث : « يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد ، الكعبة ، ومسجد الرسول والمسجد الأقصى والطور » أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٤ / ٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣ / ٧) وقال رجاله رجال الصحيح وقال ابن حجر رجاله ثقات - فتح الباري (١٠٥ / ١٣) .

إن النصراني اليوم - على اختلاف طوائفهم - يشكلون ما يقرب من ثلث سكان العالم ، والله أعلم كم سيبلغون إذا خرج فيهم من يهيئون الدنيا لمقدمه ظناً منهم أنهم يهؤونها للمسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - إن هؤلاء - مع مسيحتهم - كفار بنوة عيسى وعبوديته ، ولهذا سيسارعون بتصديق من يقول إنه هو المسيح الإله!

ولهذا فإن الله - تعالى - سوف يزيل هذه الغمة بإنزال عيسى نفسه حيث سيسقط في أيدي من ضلوا وأضلوا كثيراً من البشر عبر القرون مدعين أنه إله أو ابن إله ، وسيدفعون دفعا إلى الإيمان بأن عيسى نبي الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، ليس بإله ولا ابن إله ، إنما هو كما قال الله عنه : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْإِلَٰهُ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩] ، وعند نزوله سيرون ذلك رأي العين ، ويسمعون منه كلامه الفصل كما قال - سبحانه - : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْإِلَٰهَ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] .

أما بقية القطعان البشرية الوثنية من ملايين البوذيين والهندوس والملحددين واللا دينيين ونحوهم ، فإنه لا حجاب بينهم وبين الإيمان بالدجال ! إذا خرج وقال لهم إني أنا الإله ، فهؤلاء وهؤلاء لن تزيدهم عقائدهم الوثنية التي تؤله الأجار والأشجار والأنهار والأبقار ، إلفتنه بالبشر المخلوق للفتنة إذا جاء وقال لهم إني أنا الإله ، وشرع يجذب أبصارهم بالخوارق ، وأسماعهم بالشبهات وبطونهم وفروجهم بالشهوات !

إن من الغرائب مثلاً أن نعلم أن الوثنيين الآن في الأرض هم أكثر البشر عدداً ، فالصين الشعبية البوذية وحدها تبلغ نحو مليار من البشر ، ويقترب منهم الهندوس ، وهناك ما يزيد العجب إذا علمنا أن البوذيين ينتظرون عودة (ابن الإله) - بوذا - قبل يوم القيامة ! فهم يؤمنون بأنه ولد من عذراء وتعمد بالماء المقدس ،

وعندما مات دفن، شُقَّ قبره وعاد للحياة، ولكن صعد إلى السماء، وسيعود إلى الأرض، فهو عندهم ابن الإله الذي لا أول له ولا آخر- تعالى الله عما يفترون- فهو مثل الإله الأب وهو الابن الوحيد الذي تجسد في الناسوت وسيقدم نفسه لافتداء البشرية، ومن ثم يسميه أتباعه (المخلص)^(١).

فيالله من الضلال الذي يضرب بأطنابه في أرجاء الأرض وأنحاء المعمورة التي خربتها العقائد الشركية والكفرية والوثنية! هل سيجد الدجال صعوبة في جر هؤلاء لفتنته إذا خرج؟! هل يمكننا أن نتصور حجم فتنة تساق البشرية كلها لها- إلا من رحم الله-؟ بحيث تتكتل خلف إنسان يدعي الألوهية؟! حقا إنها ستكون أعظم فتن التاريخ البشري كما أقسم على ذلك الصادق المصدوق ﷺ: «والله، ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أعظم من الدجال»^(٢).

إنها الفتنة التي كانت كل الفتن وكل الشبهات وكل العقائد الضالة على مر التاريخ بمثابة إعداد وإمداد لها، كما قال- عليه الصلاة والسلام-: «ما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال»^(٣).

إنها الفتنة التي يسارع اليهود والنصارى الزمن لتهيئة العالم لها، ويظنون أنهم سيكونون خارجها.

نحن نؤمن معهم أن المسيح ابن مريم سيعود، ونؤمن معهم أن الدجال سيخرج، ولكن شتان بين إيمان وإيمان وبين عودة وعودة^(٤)، فإيماننا: أن عودة

(١) راجع مقارنة الأديان/ البوذية، تأليف د. أحمد شلبي، ص ١٨٠.

(٢) رواه مسلم (١٨/٨٦) وأحمد في مسنده (الفتح/ باقي ٦٩/٢٤).

(٣) جزء من حديث رواه البزار، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد ٧/٢٣٥).

(٤) لعل الله- تعالى- يبسر- في رسالة أخرى، معالجة بعض الموضوعات التي ذكرت في هذه الحلقات من وجهة شرعية إسلامية علمية، بعد أن كثر اللغط واختلطت الأمور على كثير من الناس في معرفة الحقيقة بين ما يقوله أهل الكتاب، وما يذكر في مصادرنا الإسلامية والمؤلفات التي تدور حولها.

عيسى - عليه السلام - هي القدر الإلهي الحكيم الذي سيضع النهاية للاختلاف الذي عم الأمم حوله ، ولا يمكن أن ينتهي ذلك الاختلاف في شأنه إلا بعودته : يقول ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية في كلامه على نزول عيسى عليه السلام : «إن عيسى - عليه السلام - سينزل إلى الأرض ، ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً بيناً ، فمن مدعي إلهيته كالنصارى ، ومن قال فيه قولاً عظيماً ، وأنه ولد ريبة وهم اليهود ، فإذا أنزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه من الافتراء» .

أما الدجال ، فلا نشك في خروجه ، وإن كنا لا نعلم مواعده ، ولكن مقصودنا هنا التنبيه على أن اليهود والنصارى يستعدون لخروجه ، ومع ذلك فهو مسيح الضلالة الذي تعاقب به أمم الضلالة ، الذين تكبروا عن الإيمان بمحمد سيد الرسل - عليه صلوات الله وسلامه - وفضلوا أن يبقوا على ديانات منسوخة ؛ لم تلبث أن تحولت إلى ديانات ممسوخة بالافتراء على الله والكذب على أنبياء الله يقول ابن تيمية - رحمه الله - : «اليهود يتأولون البشارة بالمسيح على أنه ليس هو عيسى بن مريم ، بل هو آخر ينتظرونه ، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال ، فإنه الذي يتبعه اليهود ويخرج معه سبعون ألف مطيلس^(١) من يهود أصبهان»^(٢) .

ويقول ابن القيم - رحمه الله - «فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم

(١) أي لابس الطيلسان وهو رداء الصلاة عند اليهود ويطلق عليه بالعبرية (طاليت) وهو أشبه في رسمه وألوانه بالعلم الإسرائيلي اليوم ، وما ذكره ابن تيمية هو معنى حديث أخرجه مسلم في صحيحه ، انظر صحيح مسلم مع شرح النووي (١٨/٨٥-٨٦) .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

العذراء البتول، والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعى إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله أو ابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود^(١) فإن المسيح الكذاب (الذي ينتظره النصارى) يزعم أنه الله، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح، كما أن اليهود إنما ينتظرون خروج مسيح، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان من الإيمان به بعد مجيئه انتظاراً للمسيح الدجال. . . وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل^(٢).

الانتظار الانتظار إذن. . . هو الموقف الراهن، ومع ازدياد الهوس الألفي باقتراب مجيء المسيح المخلص، تتكثف الدعوات من خلال نشرات دورية تنقل عبر شبكات الإنترنت، فتبث الأحاديث المثيرة عن أحداث آخر الزمان، ومن أغرب المواقع المصابة بـ (الفيروس الألفي) موقع بعنوان (كاميرا المسيح) وهو موقع مسلط من خلال صورة حية على مدار الساعة بكاميرا فيديو على البوابة الشرقية في القدس القديمة (الباب الذهبي) حيث يؤمن الإنجليون بأنها ستكون موقع ظهور المسيح عند عودته الثانية إلى الأرض، وقد وضعت تلك الكاميرا إحدى الجمعيات الدينية البريطانية وأخفوها في مكان سري قريب من البوابة، والغريب أن الجمعية وضعت الكاميرا بإذن خاص من بلدية القدس، وبتفاق مع اللجنة المسؤولة عن احتفالات بيت لحم ٢٠٠٠!

إن وضع الكاميرا الآن، يدل - حسب قول المشرفة على مشروع الكاميرا (كريستين دارج) أن المسيح قد اقتربت عودته، سواء هذا العام، أو الذي بعده!!
[جريدة الشرق الأوسط/٦/١٩٩٩م].

(١) أي لو كان لمسيح النصارى بهذا الوصف وجود.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية، ص ٦٥.

إن اليهود والنصارى يتعجلون اليوم أمر الساعة أكثر من أي يوم مضى، ولا ندري ما هي الأقدار المخبأة وراء تلك العجلة .

إن أهل الإيمان الحق ليسوا على عجلة من أمرهم في شيء؛ وهم يعلمون أن الله لا يعجل بعجلة الناس، ويعلمون أن أمر الساعة شيء عظيم، ولهذا فهم لا يتعجلونها ولا يتعجلون أماراتها، لأنهم يخشون الابتلاء والفتنة ولا يعرف أحدهم هل ينجو في أيام (الفتن والملاحم) فيكون من المهتدين، أم يسقط في الفتنة إذا أشرأبت له فيكون من الهالكين عياداً بالله، وما أهل الإيمان وأهل الكتاب والساعة إلا كما قال الله - عز وجل - : ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨] .

فاللهم اهدنا إلى سواء الصراط ونجنا من سبيل الهلاك .

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ﴿٦٦﴾ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴿ [الفاتحة: ٦ - ٧] . آمين .